

الحرب الوهابية على اليمن... السعودية تسير إلى الهاوية وأميركا تكتفي بالتفرج



إعداد وترجمة: ليلى زيدان عبد الخالق

كُتِبَ كثيراً في الآونة الأخيرة عن اليمن وعن الإحداث الحاصلة هناك. إعلام بشيد بخطوة المملكة العربية السعودية، مصدقاً ذريعتها، أو مروّجاً كذبتها، وإعلامٌ بشيد بالمقاومة اليمنية، ويعتبرها ذات حق، وشرعية في وجه تقسيم اليمن وإرجاعه إلى عصور الجاهلية والافتتال الطائفي. وثمة إعلامٌ قرأ جيداً، وحلل جيداً، ولم يسرد الأحداث بمقدار ما تكشف عن وقائع، وربط الماضي بالحاضر، ومستسقى الحقائق من منابعها.

بين أيدينا اليوم موضوع دُمجت فيه تقارير عدّة، تتحدّث عن حقيقة ما يجري في اليمن، وما سينتظر المملكة العربية السعودية الوهابية، بسبب خلوتها المتمثلة بقصف اليمن والإغارة عليه، سائرةً بذلك نحو الهاوية. التقرير الأول لبات لانغ، وهو مبرز المفكرين الجيوسياسيين في الولايات المتحدة، ويتمتع بمعرفة عميقة حول اليمن. وفي تقريره يقول إن أحفاد الحوثيين ليسوا عبيداً لإيران، ولا يشكلون خطراً على المصالح الغربية. هم خطيرون فقط على تنظيم «القاعدة» في شبه الجزيرة العربية. وإن الولايات المتحدة في دعمها الحملة السعودية، يبدو أنها تدعم الحركة الوهابية لتنظيم «القاعدة» لا غالبية الشعب اليمني. إنه لغايةً. أصبح نموذجياً ومعتاداً. بالنسبة إلى الولايات المتحدة أن تدعم حركات كهذه. وإن الرابع الحقيقي، يتمثل في تلك الدول المصدرة للغلط التي ترزح حالياً تحت وطأة أسعار النفط المنخفضة، والتي ارتفعت بنسبة 6 في المئة بعد الإعلان عن المخططات السعودية.

أما التقرير الثاني فهو لمارتن جاي، المحلل الذي درس جيداً الأوضاع اليمنية والسعودية عن قرب، وفي تقريره يقول: إذا ما استمرت الولايات المتحدة في دعم التدخل السعودي في هذه الحرب الأهلية اليمنية، فسيتمخض عن ذلك تورط ثلاثة فرق: الزيديون، السعوديون، وسنة اليمن الجنوبي، في الصراع الذي ستجد فيه الولايات المتحدة نفسها تخدم مصالح تنظيم «القاعدة» في المنطقة في نهاية المطاف.

ونصل إلى التقرير الأخير وهو تحليل لبهادراكومار، ومما جاء فيه: فإن هذا التدخل السعودي في اليمن ستكون له تبعاته السلبية على المنطقة برمتها. وإذا ما طال أمه الحرب هناك، فإن تكلفته ستكون باهظة على السعودية ودول البترودولار الخليجية التي سترتاح لارتفاع أسعار النفط مجدداً.

كتب بات لانغ:

كُنْتُ مخطئاً إذا اعتقدتُ أنّ السعودية لن تجرؤ على مهاجمة اليمن. في الوقت الذي يرسل فيه الجيش السعودي قواته إلى حدودها الجنوبية مع اليمن، يبدو أن لا نية لدى الجيش السعودي أو ذلك المصري للتورط في القتال والخسارة مجدداً أمام القوات اليمنية. لن تشارك باكستان في هذا الهجوم. فالطلب الذي قدّمه الرئيس اليمني المستقل عبد ربه منصور هادي إلى القوات المتمردة بالانسحاب، لم يلقَ آذاناً صاغية. سيبقى الحوثيون القوة الحاكمة في اليمن بسبب عدم استعداد القوى الأجنبية للتدخل حالياً هناك. لكن بين ليلة وضحاها، قامت القوات السعودية بمهاجمة قاعدة الدليمي العسكرية في صنعاء، عاصمة اليمن.

قاد عبد الملك الحوثي ثورةً في اليمن ونجح في طرد رئيسها الأميركي -السعودي هادي خارج البلاد، كما تمكن من السيطرة على معظم مدنها بما فيها عدن، عاصمتها الجنوبية. تحالف الحوثي مع الرئيس اليمني السابق علي عبد الله صالح، الذي أطاح به انقلاب قاده الأميركيون ليضربوا فيه هادي مكانه. قطاعات كبيرة من الجيش اليمني تدعم صالح والحوثي. وكانت السعودية قد حذرت من مغبة القيام بأي حركة ضدّ عدن التي لجأ إليها هادي منذ فترة، لكن لم يباخذ أحد هذه التحذيرات على محمل الجد.

أعلن السعوديون الآن من خلال سفارتهم في واشنطن، أن تحالفاً سنياً سوف يهجم ضدّ اليمن، وسيشمل هذا التحالف على الأقل مصر، المغرب، السودان، الكويت، الإمارات العربية المتحدة، قطر والبحرين. يقول السعوديون إن أمن طائراتها الحربية و150.000 من جنودها سيشاركون في هذه الحملة. فضلاً عن أنهم أعلنوا فرض حصار جوي وبحري ضدّ البلاد، بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية التي تقود هذه الحملة وتوجّهها من خلال خلية للتنسيق.

أما البيت الأبيض فيقول: «رداً على تدهور الوضع الأمني، فإن المملكة العربية السعودية، بالتعاون مع دول الخليج وأعضاء مجلس التعاون الخليجي وغيرهم، قرّرت القيام بعمل عسكري للدفاع عن حدودها وحماية الحكومة اليمنية الشرعية». ومن الواضح أن دول مجلس التعاون الخليجي قد اتخذت هذه الاجراءات بناءً على طلب من الرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي. تتسق الولايات المتحدة بدقة مع المملكة العربية السعودية وأعضاء مجلس التعاون الخليجي في شأن القضايا المرتبطة بامنهم ومصالحهم الخاصة. وافق الرئيس أوباما على تقديم الدعم اللوجستي في القضايا المتعلقة بالأمن والمصالح المشتركة، دعماً لإجراءات دول مجلس التعاون الخليجي في وجه العنف الحوثي، وتعمل على إنشاء خلية تخطيطية مشتركة مع المملكة العربية السعودية لتنسيق الدعم الأميركي العسكري والاستخباراتي».

وفي الوقت الذي يوبخ فيه أوباما الدعاة في الكونغرس إلى الحرب وادامعها، يسعى الأميركيون والسعوديون إلى إعادة الرئيس هادي للرئاسة من خلال القوة. تدعى الولايات المتحدة أن هادي قد «انتخب» بشكل شرعي، غير أنّنا نعلم أن هذه الانتخابات كانت مجرد مزحة. إن إعادة هادي إلى كرسي الرئاسة الشرعيّة لن تتحقق من خلال القوة، لذا، فمن الواضح أن فرصة تحقيق الهدف من الحرب ضئيلة جداً.

حذّر أجدهم الحوثي من إمكانية حصول هجوم وشيك، فأجلى رحاله مكاتبهم قبل بدء الضربة. وأعلنوا أن كل الاتفاقيات بين اليمن والسعودية، بما فيها معاهدة الطائف الحدودية عام 1934، أصبحت الآن لاغية وباطلة؛ لأن بعض المقاطعات السعودية مثل نجران، عسير وجيزان، تعتبر تاريخياً أجزاء من اليمن الذي يعمل على استعادتها. يتميز اليمنيون بنزعتهم الواضحة إلى الاستقلالية وكرههم الغفيرة السعودية. فالحوثيون يخوضون الحرب منذ أكثر من عقد، ما أغرق البلاد في الأسلحة بما فيها 500 مليون دولار «ضاعوا هباء» بعدما سلمتهم الولايات المتحدة لحلفائها على الأرض. إن فرض كسب السعوديين الحرب في اليمن تبدو بعيدة للغاية.

موهوب ميدانياً بشكل مذهل، ساخر، يمتلك حسن الفكاكة، مستقل بقراراته الشريسة بين العشائر ويعارض قيام أي حكومة من أي نوع، قد يكون هؤلاء الرجال المسلحون أصدقاء جديين، لكنهم أيضاً أعداء حقيقيون.

يشرح غريغوري جونسون -الذي درس في اليمن- جذور الحملة الحربية ضدّ الحكومات اليمنية المدعومة من الولايات المتحدة. ويصف عماد مؤسسات الاقتصادية لهذا الواقع. فضلاً عن توفر وثيقتي ويكيليكس حول الصراع السعودي -الحوثي عام 2009. انتهى السعوديون تلك الحملة بعد تكبدهم خسائر كبيرة.

وفي الوقت الذي يواجه فيه الحوثي أعداءه في الداخل اليمني، الذي قد لا يحكم فترة طويلة من دون اجتراح حل سياسيٍ وسطي، فمن المرجح أن يتمكن الغرياء من توحيد القوى اليمنية، ربما باستثناء قوة واحدة ألا وهي «القاعدة» في شبه الجزيرة العربية.

ومن الخطأ في مكان، النظر إلى هذا الصراع على أنه حرب طائفية سنيّة -شيعيّة بين إيران والسعودية؛ في الوقت الذي يلعب فيه رئيس المقاتلين في الحرب الأهلية لعبة الطائفية. هناك سبب ما يقودنا إلى الاعتقاد بأن اليمن لن ينزلق إلى صراع طائفي في المنطقة. ويغض النظر عن الارتباطات الأجنبية، فإن الحوثيين الشيعة وأعداءهم السنة متجذرون بعمق في اليمن، وغالباً ما تحرك القضايا المحلية صراعاتهم الأساسية. يكمن الخطر الرئيس الآن في وجود القوى العربية، فستبايع كل من السعودية ومصر في ردود الفعل، وستسعيان إلى التدخل، بهدف مواجهة النفوذ الإيراني، أو لسحق جهود تنظيم «القاعدة» في شبه الجزيرة، الهادف إلى كسب المزيد من



سلمان بن عبد العزيز

ما من سبب للشك في جدية بيان الملك السعودي سلمان بن عبد العزيز في اجتماع قمة الجامعة العربية يوم السبت الماضي في شرم الشيخ في مصر، في أن التدخل العسكري في اليمن سيستمر «حتى يحقق أهدافه في تأمين الأمن والاستقرار، في تلك البلاد. سلمان رجل متشدد وسيستخدم القوة الغاشمة بهدف إيقاف التمرد الحوثي الشيعي».

تظهر ردود الفعل الإيرانية أن السعودية قد سارت بملء إرادتها إلى المستنقع اليمني والذي قد يلوح باحتمال انهيار السقف الملكي على آل سعود. تعلّمت إيران من تجاربها السابقة أن اليمن جارها، لكن من الحكمة البقاء على مسافة واضحة منه. إن تدخل إيران في اليمن أمرٌ غير مطروح البتة. وقد حذر مساعد وزير الخارجية الإيرانية حسين أمير عبد الهيمان من أن المملكة السعودية قد ارتكبت «خطأ استراتيجياً». وأضاف في ملاحظة ذات مغزى: «على الرياض ألا تعتمد على الدعم الأميركي لاجتياحها العسكري لليمن». إنه التقارب الأميركي -الإيراني الذي يُترجم نفسه عندما يتفق وزيراً خارجية الدولتين أوقاتاً من بعضهم أكثر من أي أحد آخر. وبالطبع، فإن الحوثيين ليسوا غريباً عن عمل الاستخبارات الأميركية في اليمن طوال سنوات ضدّ أعضاء تنظيم «القاعدة».

وفي الواقع، فإن تقريراً بارزاً لـ«رويترز» من واشنطن، يُبني على تقديرات بعض المسؤولين الأميركيين رفضوا الكشف عن اسمائهم، أن إدارة أوباما مترددة في تحديد موقفها من الضربات السعودية العسكرية في اليمن. لذا، ووفقاً للمسؤولين الأميركيين:

ستحتفظ السعودية بالتفاصيل الرئيسية للعمل العسكري الوشيك المقبل من واشنطن حتى اللحظات الأخيرة؛ هناك شخراً في معرفة الولايات المتحدة للخطط العسكرية السعودية وأهدافها؛ -وبالتالي، لا يمكن للولايات المتحدة أن تضمن نجاح الخطة السعودية؛

- تتردّد الولايات المتحدة لخوفها من الغرق في المستنقع العسكري في اليمن؛ -يبالغ السعوديون في تقدير آفاق العلاقة بين الإيرانيين والحوثيين؛

- إن هذا العمل السعودي هو «ردّ فعل مدعور» من إمكانية التمرد اليمني.

وفي النهاية، يبدو أن المسؤولين الأميركيين يستشرفون - من دون أن يقولوا ذلك علانية- أن التدخل السعودي في اليمن لن ينهي الأزمة اليمنية، وهذا ما يعمل الإيرانيون على تصديقه. وكما نتفق أكثر، فإن هذا التدخل السعودي في اليمن ستكون له تبعاته السلبية على المنطقة برمتها. وإذا ما طال أمه الحرب هناك، فإن تكلفته ستكون باهظة على السعودية ودول البترودولار الخليجية التي سترتاح لارتفاع أسعار النفط مجدداً. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، لن تكون السعودية قادرة في المستقبل المنظور على لفت الانتباه إلى صراعات أخرى دائرة في المنطقة سواء في العراق أم في سورية أم في لبنان.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، كم ستكون الولايات المتحدة قادرة على تحمّل عبء القتال على جبهتين -اليمن والبحرين- علماً أن هاتين الدولتين تشكلان تحدياً وجودياً للسعودية كما للقوة الشيعية وتمكينها هناك. إنه «فيروس» قد ينتقل بسهولة تامّة إلى شعبة المقاطعات الشرقية هناك، والتي تحتوي أيضاً على حقول نفط ضخمة. إنه الربيع العربي، يا للغباء!! سينهار البيت السعودي ما لم يتمكن من تثبيت نظام دمية آخر في اليمن، أو لم ينجح في تحقيق نصر عسكري يتدخله هناك. وتوضح تصريحات المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية إلى أن: «اللجوء إلى أعمال عسكرية ضد اليمن المتورط في أزمته الداخلية، وفي مكافحة الإرهاب سيزيد الأمر تعقيداً، ويدمر فرص تسوية الخلافات الداخلية سلمياً... كما سيساهم هذا العدوان في ازدياد التطرف والإرهاب، وانعدام الأمن في المنطقة بأسرها». في الواقع، إن إضعاف الحوثيين سيساعد فقط على تقوية تنظيم «القاعدة» في المنطقة. إنه «اختيار مزدوج» على حدّ تعبير لعبة الشطرنج، وهي خطوة على الملك الإيفاء بها. على سلمان الوصول إلى بان كي مون الذي تناهت إلى مسامحه حديث سلمان في شرم الشيخ حول «المفاوضات». بتشجيع من المبعوث الخاص جمال بنو عمر والتي أقرها مجلس الأمن -والتي لا تزال الطريقة الوحيدة لمنع الاستغراق في الصراع لوقت أطول».



منصور هادي

السعودية هذه لا يزال مشكوكاً في قدراتها. ويؤكد مارتن أن الطائفية لم تكن سابقاً مشكلة حقيقية في اليمن، أقله في اليمن الشمالي حيث خدم لسنوات طويلة. وفي الواقع، فإن المتمردين الحوثيين يشكلون الغالبية الزائدة الشيعية التي ينتمي إليها صالح، الذي يتلاعب بالأحوال الآتية في اليمن بما يتواءم مع مصالحه الخاصة. والحقيقة أن مساندة الحوثيين لصالح إلى جانب فئة كبيرة من الزيديين لهي إشارة قلبية إلى طبيعة المجتمع اليمني العرقي والطائفي في الشمال كما في الجنوب. غير أنني لا أظن أن الحوثيين والزيديين هم أدوات للحكومة الإيرانية، غير أن الصليبيون بحسب تعبيرهم. ومن الواضح أن الحوثيين واشطن تصبح بأعلى صوتها مؤكدة أن الزيديين والحوثيين يحاولون -بالتعاون مع إيران- إسقاط الحكومة التي يفضلها جميع أنحاء العالم، لكن يبدو أن الولايات المتحدة غضت الطرف عن هذه الحقيقة، أو أن أوهامها الخاصة التي نرّها السعوديون كالرماد في عيون الأميركيين، والتي اعتمدهم عن هذا التطور التاريخي الهام.

أما لناحية توقعاتي التي تسير جنباً إلى جنب مع تلك المتعلقة بمارتن جاي، فأقول ما يلي: - ومن ناحية أخرى، إذا ما استمرت الولايات المتحدة في دعم التدخل السعودي في هذه الحرب الأهلية اليمنية، فسيتمخض عن ذلك تورط ثلاثة فرق: الزيديون، السعوديون، وسنة اليمن الجنوبي، في الصراع الذي ستجد فيه الولايات المتحدة نفسها تخدم مصالح تنظيم «القاعدة» في المنطقة في نهاية المطاف.

تحليل بهادر اكومار

وكتب بهادر اكومار محللاً حول التدخل العسكري في اليمن - مع الأخذ بالاعتبار موقع كل من الإيرانيين والأميركيين وتأكيد الشكوك حول سعي أوباما إلى إغراق السعوديين:



علي عبد الله صالح

في الشبوة، وفي مارب. ولا أظن أنهم سيجرؤون على قتال الحوثيين في الجبال، لأنهم سيذبحون هناك. ومن الواضح، أننا نشهد بداية ولادة جنوب مستقل. فقد خرجت الأمور عن السيطرة.

يرى الجنوبيون أنهم متورطون في قتال «الأخوة» منذ عام 1986، غير أنهم عادوا الآن ليتحدوا ضدّ الحوثيين الشيعة وضدّ صالح. إلا أن الأمور لم تكن تسير في منحى طائفي سوى منذ أشهر قليلة مضت. هذا سيشرذم البلاد ويمزقها إرباً. فالسعوديون يتحملون الكثير من اللوم، وكذلك الإيرانيون الذين عملوا أيضاً على إثارة هذه الغمرات طوال سنوات مضت. وبمقارنة بسيطة، فإن السعوديين هنا يشبهون الأميركيين في تحريضهم على تغيير النظام في أوكرانيا؛ اليمن يقف على حدود السعودية ولا تستطيع هذه الأخيرة تجاهل الأمر. والمسألة برمتها ترتبط بإعادة تشكيل المنطقة ضمن الإطار الإقليمي للصراع الإيراني -الخليجي الأكبر.

ستقتضي هذه الحرب على المزيد والمزيد من الأرواح. ف60 في المئة من اليمنيين يقعون تحت خط الفقر، ويعانون من سوء التغذية. وعندما لن يعود اليمن القابع تحت وطأة الحصار العسكري والاقتصادي، تحمّل تامين الخبز لهؤلاء، فسيموتون -بالملايين- ببطء وهدوء شديدين. إنها كارثة يمكن تقادي حدوثها. وستكون الولايات المتحدة المألم الأبرز بسبب صميم قناعة لا تفقه عنها شيئاً.

إنني اتفق معه في الاستنتاج، أنّ ما نشهده حالياً، تفكك غير طبيعي لاتحاد الجمهورية العربية اليمنية سابقاً، ودول جمهورية اليمن الديمقراطية. يميل مارتن جاي إلى الاعتقاد أن محاولة المملكة السعودية التدخل برزياً في اليمن سيكون عبر صرخة الربيع الخالي لتلتف بعدها يساراً نحو الجنوب اليمني، وهي منطقة في البلاد يظنّها جزء كبير من السنة السعوديين. ويؤكد مارتن جاي أنّ القوات السعودية لن تدخل اليمن برزاً من الشمال أي من نجران، لأنها لو فعلت ذلك، فهي ستخاطر بتكبّد خسائر فادحة في صفوف قواتها. فمقاتلو القبائل الزيدية سيرتكبون مجزرة بحق السعوديين قبل أن يحولوا اهتمامهم نحو الجنوب.

لكن علينا تذكر أنه على رغم تدريب الأميركيين والفرنسيين والبريطانيين القوات السعودية طوال عقود مضت، فإن القوة

